عجائب القرآن

عجائب القرآن

تأليف

الدكتور السيد الجميلي

دار البحار

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

تطلب منشوراتنا من
دار ومكتبة الهلال
بيروت - ص.ب ١٥/٥٠٠٣

دار البحار
بيروت - ص.ب ١٥/٥١٢١

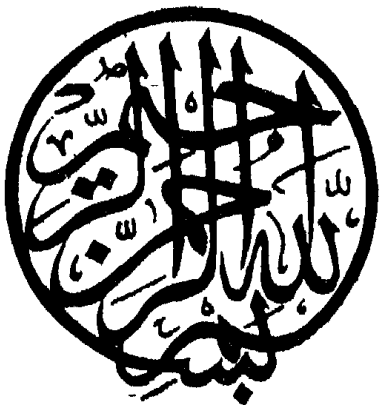

أهـــداء

الى المعلم الفاضل والأخ الكريم الذي لم أره ولم أعرف عنه شيئاً منذ نيف وثلاثين عاماً لكنه غائب حاضر وثاوٍ مقيم في خاطريْ وفي كياني .

إلى الأستاذ نبيل متولي حلاوة المدرس بمدرسة بني عبيد دقهلية الإلزامية منذ أوائل الخمسينات تقريباً . أهدي هذه الدراسة .

السيد الجميلي

دعـــاء

اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء اليك : شهادة أن لا إلـه إلا أنت وحدك لا شريك لك ، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهي الشرك أعوذ بك منه وأستعين بك عليه وأستبرىء بك على عواديه ، فاغفر لي ما بين ذلك .

اللهم متعني بالنظر إلى وجهك الكريم في دار كرامتك .

تقـديـم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . . وبعد .

التوحيد هو جماع العقيدة الإسلامية ولب جوهرها وهو مجمل في قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له . والثابت أن التوحيد هو مفتاح دعوة الرسل أجمعين عليهم الصلاة والسلام فكانت رسالاتهم كلها من أجل إعلاء كلمة التوحيد وتوثيقها في الضمائر وتمكينها من القلوب . وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وستون شعبة[1] . أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »[2] .

قال تعالى : ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾[3] . ومعنى ألزمهم أي أختار لهم وهو إلزام تكريم وتشريف ، وكلمة التقوى كما أجمع المفسرون هي قول (لا إله إلا الله) وهذا قول الجمهور .

والله سبحانه وتعالى يختار للمؤمنين ، فإذا ما أراد لهم شيئاً كان خيراً لهم ومتى اكتملت المقومات الإيمانية في فطرة المؤمن أو المؤمنة فإن كل ما يجري عليه من اختيار الله سبحانه وتعالى له والله لا يريد له إلا الخير ، قال تعالى

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب الإيمان (١ / ٥١) . وفي رواية الإمام مسلم ورجال السنن (بضع وسبعون) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/٦٣) .

(٣) الفتح (٤٨/٢٦) . قال الترمذي هي شهادة ألا إله إلا الله ،راجع سنن الترمذي بتحفة الأحوذي (٩ / ١٥٠) وطبقات السبكي الكبرى (١/٣٢) .

وهو أصدق القائلين :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[1] .

ومعنى هذا أن المؤمن والمؤمنة ليس لهما اختيار أو رأي بل عليهما الانقياد والتسليم[2] .

يقول الإمام ابن كثير : « وهذه الآية عامة في جميع الأمور والأحوال ، وذلك أنه إذا حكم الله سبحانه وتعالى ، ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته فلا اختيار ولا رأي ولا قول »[3] .

وقد أخرج الشيخان عن أبي ذر قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا برسول الله ﷺ يمشي وحده ، وليس معه إنسان ، فقلت إنه يكره أن يمشي معه أحد ، فجعلت أمشي في ظل القمر ، فالتفت فرآني فقال : « من هذا ؟ فقلت : أبو ذر جعلني الله فداك ، قال : يا أبا ذر ، تعاله ، فمشيت معه ساعة فقال : إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة ، إلا من أعطاه الله خيراً ، فنفع فيه عن يمينه وشماله ، وبين يديه ووراءه ، وعمل فيه خيراً ، قال فمشيت ساعة ثم قال لي : أجلس ههنا حتى أرجع اليك . . فانطلق في الحرة[4] ، فأطال اللبث ، ثم إني سمعته يقول وهو مقبل : وإن زنى وإن سرق ؟ فلما جاء لم أصبر فقلت : يا نبي الله جعلني الله فداك ، من تكلم في جانب الحرة ؟ ما سمعت أحداً يرجع اليك شيئاً ؟ قال : ذاك جبريل عرض لي في جانب الحرة ، فقال : بشر أمتك من مات لا يشرك بالله شيئاً[5] . دخل الجنة . فقلت يا جبريل وإن زنى وإن سرق ؟ قال : نعم » . فقلت يا رسول

(١) الأحزاب (٣٣/٣٦) .

(٢) صفوة التفاسير (٢٢/١١٢٣).

(٣) مختصر ابن كثير (٣/٩٧) .

(٤) الحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء .

(٥) ومعنى لا يشرك بالله شيئاً إنما يقصد بها الاستبراء من الشرك بكافة أنواعه وصوره حتى يكون التوحيد خالصاً لا تشوبه أية شائبة من ندب غير الله أو الاستعانة بغير الله .

الله : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : نعم ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « نعم وإن شرب الخمر ». وزاد الترمذي في روايته في المرة الرابعة : « على رغم أنف أبي ذر » .

كما أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ ، ومعنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في نفرٍ ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا ، ففزعنا فقمنا ، فكنت أول من فزع ، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ ، حتى أتيت حائطاً للأنصار ، لبني النجار ، فدرت هل أجد له باباً ، فإذا ربيع (جدول) يدخل في جوف الحائط من بئر خارجة ، فاحتفزت (تضامت) فدخلت على رسول الله ﷺ فقال : « أبو هريرة ؟ فقلت : نعم يا رسول الله . قال : ما شأنك ؟ قلت : كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا ، فخشينا أن تقتطع دوننا ، فكنت أول من فزع ، فأتيت هذا الحائط ، فأحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت ، وهؤلاء الناس ورائي ، فقال : يا أبا هريرة ـ وأعطاني نعليه ـ اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ألا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة . فكان أول من لقيني عمر ، فقال : ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ قلت : هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما ، من لقيته يشهد ألا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة . فضربني عمر بين ثديي فخررت لإستي ، فقال : ارجع يا أبا هريرة ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فأجهشت بالبكاء ، وركبني عمر فإذا هو على أثري ، فقال رسول الله ﷺ : مالك يا أبا هريرة ؟ فقلت : لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به ، فضرب بين ثديي ، فخررت لأستي ، فقال رسول الله ﷺ : يا عمر . . ما حملك على ما فعلت ؟ قال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة ؟ قال : نعم ، قال : لا تفعل ، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها ، فخلهم يعملون . فقال رسول الله ﷺ : فخلهم » .

وقد أخرج أبو يعلى وأحمد وابن حبان والبيهقي عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرز على النار » . قال عمر بن الخطاب : « ألا أحدثك ما هي ؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ وأصحابه ، وهي شهادة ألا إله إلا الله » .

* * *

قال تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾[1] . وقد فسر جماعة من أهل العلم السؤال عن قول (لا إله إلا الله) وقد قال عز من قائل : ﴿ وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾[2] . ومعنى الآية أن الملائكة تناديهم أن هذه هي الجنة التي أعطيتموها بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا .

ويقول الإمام القرطبي في جامعه : ورثتم منازلها بأعمالكم ودخولكم إياها برحمة الله وفضله[3] . يقول الحافظ بن حجر العسقلاني رحمه الله : فمن أقر ـ أي بشهادة لا إله إلا الله مطمئناً بها قلبه ـ أجريت عليه الأحكام في الدنيا ، ولم يحكم عليه بكفر إلا أن اقترف فعلاً يدل على كفره مثل سجود للصنم ، ولا يخرج عن هذه الدائرة بفعل المنهيات وترك الأوامر إلا بالشرك أو عمل عملاً يناقض تصديقه[4] .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[5] . فالشرك هو أخطر أعداء التوحيد وإفراد الحق سبحانه وتعالى

(١) الحجر (١٥/٩٢ ـ ٩٣)
(٢) الأعراف (٧ /٤٣) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧ /٢٠٩) .
(٤) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/٤٦) .
(٥) النساء (٤/١١٦) .

وحده بالعبودية .

وفعل المحرمات وترك المأمورات إنما يضعف الإيمان ويستوجب ويقتضي العقاب ولكنه لا يخرج صاحبه عن دائرة الإيمان كذلك روى الإمام مسلم في صحيحه : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة »[1] .

وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله »[2] .

وذهب العلامة الكبير تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى (١ / ٣٩ - ٤١) (ط . الحلبي) إلى أن تفسير قوله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾[3] . قال : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ **وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم** ﴾[4] . أي قولوا : لا إله إلا الله ،وهذا قول عكرمة .

وتزكية النفس البشرية لا يكون بأعظم من قول : لا إله إلا الله.قال تعالى : ﴿ **هل لك أن تزكي** ﴾[5] .

قال عكرمة : إلى أن تقول : لا إله إلا الله .

---

(١) راجع صحيح مسلم بروايات كثيرة (١/٥٥ - ٦٢) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان (١/٧٥) ومسلم في صحيحه أيضاً (١/٥٠) .

(٣) فصلت (٤١/٣٠) . وقيل استقاموا على طاعة الله فعلاً وقولاً ثم لم يروغوا روغان الثعالب . راجع تفسير القرطبي (١٥/٣٥٨) .

(٤) البقرة (٢/٥٨) ويقول الصابوني في صفوة التفاسير : أي قولوا ربنا حط عنا ذنوبنا واغفر لنا خطايانا (١/٤٤) .

(٥) النازعات (٧٩ /١٨) . راجع تفسير هذه الآية في القرطبي (١٩/١٩٣) والكشاف (٤/٦٩٥) .

وقد روى الشيخان بسندهما ان رسول الله ﷺ قال : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير »[1] .

* * *

وقد ورد أن من يحضر الميت عليه أن يلقنه الشهادة لقوله ﷺ : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » وقوله : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر ، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه »[2] .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال : قال عثمان بن عفان ، قال رسول الله ﷺ : « إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله ، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلاكانت زاده إلى الجنة » .

وقال ﷺ : « احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجال يتحيز عند ذلك المصرع وإن الشيطان أقرب مايكون من ابن آدم عند ذلك المصرع »[3] .

نسأل الله الاستقامة على كلمة التوحيد وأن يتقبل منا وأن يتوفانا موحدين على البيضاء . إنه سميع مجيب الدعاء .

القاهرة في يوليو سنة ١٩٨٤ م .

ذي القعدة ١٤٠٤ هـ .

السيد الجميلي

صحيح البخاري (١/١٧) ومسلم (١/ ١٨٢) .

(٢) صحيح مسلم وسنده صحيح .

وهذا الحديث أورده القرطبي في التذكرة (١/٤٤ ، ٤٥) عن أبي نعيم من حديث مكحول عن اسماعيل بن عياش عن أبي معاذ عتبة بن حميد عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ وذكره ثم قال : « غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث اسماعيل » أ هـ .

الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي

وهو الإمام محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التميمي البكري أبو المعالي أبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ، يقال له ابن خطيب الري أحد فقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار وله نحو مائتي مصنف وأهمها تفسيره القيم المسمى بالتفسير الكبير كما أن له أصول الفقه والمحصول وغيره من التصانيف الشائقة الممتعة .

وقد صنف الفخر الرازي ترجمة الإمام الشافعي في مجلد مفيد ، وقد ذكر ابن كثير في تاريخه المشهور أن الفخر الرازي كان له خمسون مملوكاً من الترك ، وكانت مجالس وعظه جامعة يحضرها ويختلف اليها الوزراء والعلماء والملوك والدهماء والعوام أيضاً[1] .

وكما هي العادة وقع بينه وبين الكرامية خصومات عنيفة بلغت حداً رهيباً وصل إلى تكفيره من قبلهم[2] . وقد رماه خصومه بالتهم الكثيرة التي لم تقم عليها حجة قوية فربما يكون ذلك حقداً عليه وسخيمة والله أعلم .

قال ابن كثير : « وبلغني أنه خلف من الذهب العين مائتي ألف دينار غير ما كان يملكه من الدواب والثياب والعقار والآلات ، وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار ، وكان ابنه الأكبر قد تجند وخدم السلطان

---

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٥٥) بتصرف .

(٢) وذلك بأن رموه بالكبائر ، وقد قيل إن الكرامية وضعوا له سماً فمات فاغتبطوا بذلك اغتباطاً شديداً ، وقالوا انه ظنين بالمعاصي مع المماليك وغيرهم ، والله أعلم ، بحقيقة ذلك .

محمد بن تكش » . أ هـ .

وقال ابن الأثير في كتاب الكامل : « والرازي صاحب التصانيف المشهورة والفقه والأصول ، كان إمام الدنيا في عصره ، بلغني أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة » أ هـ .

وكانت وفاة الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ في ذي الحجة عام ٦٠٦ هـ . بعد أن خلف تراثاً ضخماً هائلاً ، ونحن لنا الظاهر وما عداه فأمره إلى الله ، رحم الله الإمام الفخر الرازي وجزاه عن الإسلام وعنا خيراً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هذا الكتاب وعملنا فيه

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا من روائع الإمام الفخر الرازي رحمه الله وهو يتناول كلمة ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وفوائد هذه الكلمة ، ثم يتناول أسماء كلمة التوحيد ، ثم هو يسرد لنا المباحث المختلفة المتعلقة بكلمة التوحيد وهي وجوه . ثم في فضل المؤمن والحكمة الفقهية في قول لا إله إلا الله . وقد قمنا بمقارنة الأصل بالنسخ المطبوعة ، وكذلك قمنا بتصحيح التصحيفات ، والتحريفات والأخطاء الإملائية وخرجنا الآيات والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد حاولنا قدر الإمكان اختصار التعليقات حتى لا تطغى على الأصل الذي فيه تتجلى عبقرية الإمام الرازي في عرضه للمادة وتحليلها ومناقشتها .

نسأل الله السداد والتوفيق وحسن الختام .